المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:06، العدد:01 (2022)، ص504-515

نظرة على الصناعة والحرف بالجزائر خلال العهد العثماني

An Overview of the Industry and Handicraft in Algeria during the Ottoman Era

عبد الفتاح بن جدو
جامعة الجلفة (الجزائر)
benjeddou2511@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/12/14
تاريخ القبول:
2022/01/18

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الصناعة
- ✓ الحرف
- ✓ الجزائر
- ✓ العهد العثماني

الملخص:

نسلّط الضوء من خلال هذا المقال على الصناعة بالجزائر خلال العهد العثماني، وقد قسمنا العمل إلى شقين، الأول يتعلق بأهم الصناعات الكبيرة، ومن أهمها صناعة السفن، الصناعات الاستخراجية، ضرب السكة، المدافع والأسلحة والبارود، وصناعة مواد البناء، وعموما فقد عرف هذا النوع من الصناعات تأخرا كبيرا عما كان حاصلا في الدول الأوروبية. والشق الثاني خاص بالحرف والصناعات التقليدية، وقد تعرضنا فيه أولا لتنظيم الحكومة للأنشطة الحرفية ثم انتقلنا لأهم أنواعها، وقد كانت كثيرة ومتنوعة تجاوزت المائة بمدينة الجزائر كمثال، وقد شهدت انتعاشا كبيرا، وكانت أغلب المنتجات ذات جودة عالية لكن إنتاجها كان قليلا، لذلك فقد كان موجها غالبا للسوق المحلي فقط، وحتى لم يكن يكفي لتغطيته كليا.

Article info

Received:
14/12/2021
Accepted:
18/01/2022

Key words:
- ✓ Industry
- ✓ Handicraft
- ✓ Algeria
- ✓ Ottoman era

Abstract:

This article examines the industry in Algeria during the Ottoman Era. It consists of two parts. The first deals with the biggest industries, the most important of which are: shipbuilding industry; extractive industry; railroad construction; the construction of cannons, weapons and gunpowder and building materials industry. This industry saw a great backwardness in comparison with the European countries. The second deals with the handicraft and traditional industry. We dealt with the government's organization of the handicraft activities, then, we explained its main types. The products were excellent but were directed just to the local market.

مقدمة

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني تأخرا كبيرا في ميدان الصناعات المنظمة، ونقصد بها الصناعات الكبيرة التي تشرف عليها الهيئات الحكومية أو المؤسسات الاقتصادية الكبيرة، وتضم منشآت كبيرة وعددا معتبرا من العمال والمستخدمين، وتوفر كما وفيرا من السلع والمنتجات، وذلك مقارنة بالدول الأوروبية التي عرفت نهضة كبيرة في هذا المجال، رغم أن مدينة الجزائر عاصمة البلاد كانت تشرف على البحر الأبيض المتوسط، وكان لها اتصال وعلاقات كبيرة مع أغلب بلدان الحوض الغربي للمتوسط، بل أغلب الدول الأوروبية، وكانت لها مبادلات تجارية واسعة معها، لكن ذلك لم ينعكس بوضوح على حالة الصناعة في البلاد، فقد ظلت متخلفة وبعيدة كل البعد عما وصلت إليه في أوروبا من تقدم كبير، حتى اصطلح عليها بظاهرة الثورة الصناعية. أما بالنسبة للصناعات الحرفية التي كان يمارسها الأفراد على نطاق أضيق، فقد شهدت انتعاشا كبيرا في بعض المدن والحواضر، خاصة وأن الحكومة حاولت تنظيم النشاطات الحرفية وتقنينها. ومن خلال ما سبق يمكننا أن نطرح الإشكال التالي: **كيف كان حال الصناعة والحرف بالجزائر خلال العهد العثماني؟ وكيف كان تأثيرها على عجلة الاقتصاد عموما؟ وهل استطاعت أن تنافس الدول الأوروبية في هذا المجال؟**

وسنحاول من خلال تتبع مجموعة من المصادر والمراجع – المحلية منها والأوروبية – أن نميط اللثام عما وصلت إليه الصناعات والحرف حقيقة في تلك الفترة، ومدى مساهمتها في إنعاش اقتصاد البلاد، معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي أولا، ثم المنهجين الوصفي والتحليلي، من خلال عرض مجموعة من المعطيات والتوصيفات التي وردت خاصة لدى الكتاب الأوروبيين الذي زاروا الجزائر خلال تلك الفترة، ثم تحليلها ومقارنتها للوصول إلى النتائج والأهداف المرجوة.

1. الصناعات النظامية

كما ذكرنا فقد عرفت تأخرا كبيرا بالجزائر، وأسباب هذا التأخر غير واضحة تماما، فبالنظر للمعطيات التاريخية عن حالة البلاد السياسية في هذه الفترة، وعن مقوماتها وإمكاناتها الطبيعية والبشرية، كان المفروض أن تلحق الجزائر بركب الدول الصناعية الأوروبية، لكن ذلك لم يتحقق ولو جزئيا، وعموما يمكننا الحديث هنا عن بعض القطاعات الرئيسية للصناعة في الجزائر آنذاك على قِلّتها، ومن أهمها: صناعة السفن، الصناعات الاستخراجية، صناعة المدافع والأسلحة والبارود، صناعة النقود أو ضرب السكة، وأخيرا صناعة مواد البناء.

1.1. صناعة السفن

نظرا للمكانة العظيمة التي احتلها البحر في الجزائر العثمانية سلما وحربا، فقد اهتم حكام الجزائر اهتماما كبيرا بصناعة السفن، وأنشؤوا لهذا الغرض الكثير من دور الصناعة التي انتشرت عبر المدن الساحلية للإيالة، ورغم أن أغلب المصادر التاريخية الأوروبية كانت تتكلم عن الأسطول الجزائري وتصف تجهيزاته إلا أننا وللأسف لا نعثر فيها على الحديث عن كيفية صناعة السفن وتجهيزها إلا نادرا، وربما مرد ذلك إلى أنها

كانت من الأمور السرية التي تخص أمن البلاد ولا يمكن لأي كان الاطلاع عليها خاصة إن كان أجنبيا، ورغم ذلك فالقاعدة لا تخلو من استثناءات فقد تحدث هايدو مثلا عن دار الصناعة[1] التي كان بالقرب من باب عزون[2] بمدينة الجزائر وقال بأنه يتم فيها تصنيع سفن القالير[3] وأنواع أخرى، كما ذكر بأن لهذه الدار بوابتين كبيرتين من جهة البحر، أما من جهة المدينة فليس لها أي مدخل[4] وربما هذا ما يفسر غياب الوصف الدقيق لها.

وفي موضع آخر تكلم هايدو عن السفن التي يتشكل منها الأسطول الجزائري وذكر بأنها غالبا الغليوطات[5] الخفيفة والفرقاطات[6] التي يتم تصنيعها في الورشة السابقة أو في ورشة أخرى على رصيف الميناء بمدينة الجزائر[7].

ورغم ما ذكرناه من أن صناعة السفن هي عمل حكومي نظامي إلا أن هناك بعض الأفراد مارسوا هذه الصناعة لكن على نطاق أضيق، حيث أن بعض فئات اللاجئين الأندلسيين (طائفة المودجار مثلا) كانوا يصنعون سفنا صغيرة ويجهزونها بالمدفعية لمهاجمة السفن الإسبانية[8]. كما أن جزءا مهما من سفن الأسطول لم تكن مصنوعة محليا، بل كانت غنائم يتم الاستيلاء عليها بعد الانتصار على الأعداء وكمثال على ذلك فإن الجزائريين غنموا خمسة سفن من أسطول الإمبراطور الإسباني شارل الخامس بعد حملته الخاسرة وهزيمته القاسية على سواحل مدينة الجزائر سنة 1541[9].

وأحيانا يتم شراء بعض السفن أيضا من دول أخرى، كما أن بعض سفن الأسطول الجزائري كانت عبارة عن هدايا من الباب العالي، وحتى تلك السفن المصنعة محليا فإن الخشب هو المادة المحلية الوحيدة تقريبا التي كانت تدخل في تصنيعها، وكانت تجلب هذه الأخشاب غالبا من غابات بجاية، أما باقي الأجزاء مثل الحبال، السواري، المسامير والزفت... فإنها تكون مستوردة غالبا من دول أوروبا الشمالية مجانا لشراء السلم مع الجزائر وتأمين سفنها[10].

2.1. الصناعات الاستخراجية

لقد كانت المقالع والمناجم ملكا للبايلك[11]، لكن رغم شساعة البلاد وتنوع تضاريسها إلا أن سكان الجزائر وحتى حكومتها لم يكن لهم كبير اهتمام بالصناعات الاستخراجية، فالسواد الأعظم من المناجم والمقالع غير مستكشف، والمعروف منها غير مستغل غالبا، وقد كان هنالك استخراج ضئيل من بعض مناجم الحديد والرصاص للاستخدامات البسيطة واليومية[12]، يستخرج هذان المعدنان من منطقة القبائل خاصة بجاية، الحديد المستخرج منها أبيض وذو نوعية جيدة، يُسبك في شكل قضبان صغيرة ويوجه إلى أسواق بجاية والجزائر، وهناك مناجم أخرى للحديد لكنها كانت مهملة بكل من دوي وجبل زكار بنواحي عين الدفلى، أما الرصاص فهنالك فضلا عن مناجم بجاية مناجم أخرى على غرار جبل الرصاص بالقرب من حمام ليف، الونشريس ومواطن قبيلة بني بوطالب، لكنها كانت جميعا غير مستغلة[13]، وبسبب هذا الوضع المتمثل في إهمال استخراج المعادن كانت تضطر الإيالة إلى استيراد كميات كبيرة منها لتغطية الاحتياجات المحلية .

وكانت تتوفر البلاد خاصة بنواحي تلمسان على كميات كبيرة من ملح البارود تستخرج منها النيترات بمعدل 6 أوقيات من كل قنطار، كما تستخرج أيضا من شواطئ القالة وعنابة كميات هامة من المرجان ذي النوعية الرفيعة[14]، أما عن الفضة والنحاس فلم تكن توجد مناجم معروفة لهما كما صرح شو[15]، أو أن المصادر التي لم تذكرها. كما كانت تتوفر بجاية على غابات كثيفة يستخرج منها الخشب ويحمل إلى مدينة الجزائر حيث يستخدم خاصة في البناء وصناعة السفن[16].

3.1. صناعة النقود أو ضرب السكة

كانت هنالك دار لضرب السكة بمدينة الجزائر تصنع بها عملات ذهبية، فضية ونحاسية وكان المسؤول الأول عنها يسمى أمين السكة[17]، وقد كانت تقع هذه الدار في البداية بالقرب من قصر الدايات غير بعيد من مسجد كتشاوة، لكن الداي علي خوجة[18] نقلها إلى القصبة سنة 1817 عندما غير مقر الحكم، وجعل لها مقرا ملحقا بالخزينة[19]، ومن العملات التي كانت تضرب بمدينة الجزائر نذكر:

- من الذهب: الدينار، السلطاني بأصنافه (النصف والربع) والمحبوب.
- من الفضة: الدورو، الرّيال، نصف الرّيال، رِيال درهم، البوجو أو البوجه والموزونة.
- ومن النحاس: الصايمة.

وفضلا عن هذه النقود المحلية كانت تتداول في أسواق الجزائر نقود الدول الأوروبية المختلفة أيضا، لكن الأكثر تداولا منها هي الدوبلون والبياستر الإسباني[20]. والجدير بالذكر أن صرافات العملة كانت تنتشر بكل أحياء وأزقة مدينة الجزائر في شكل محلات صغيرة[21].

4.1. صناعة المدافع والأسلحة والبارود

رغم أن الجزائر كانت تتوفر على جيش قوي وأسطول مجهز بأحدث أنواع الأسلحة إلا أن المعلومات شحيحة جدا ومتضاربة أحيانا أخرى فيما يخص كيفية تصنيع الأسلحة خاصة المدافع، وقد ذكر هايدو في حديثه عن الصناع والحرفيين بمدينة الجزائر أن هذه المدينة كان يوجد بها كل أنواع الصناع تقريبا: صُنّاع الأسلحة التقليدية، صناع البارود وحتى صناع المدافع[22]. وتكلم ديفونتن أيضا عن مصنع للبارود بقسنطينة كان يقع بالقرب من القصبة بدار محمود بن شاير باي يعمل به حوالي عشرون عاملا[23].

لكن في مقابل هذه المعطيات فهناك من نفى وجود هذه الصناعة أصلا بالجزائر، فقد ورد مثلا في تقرير أحد الجواسيس الفرنسيين أنه: "**لا تصنع بالجزائر لا مدافع، لا بنادق، لا مسدسات ولا سيوف حتى، يصنع هنا فقط البارود وهو رديء النوعية**"[24]، أما بيسونال فقد ذكر عند الحديث عن مدافع الأسطول الجزائري ومدافع القلاع والأبراج والحصون أن أغلبها غير مصنع محليا، بعضها تم الحصول عليه كغنائم حروب مع تونس أو فرنسا أو غيرها من الدول الأوروبية، والبعض الآخر وصل كهدايا من هولندا لضمان سلامة سفنها من الجزائريين، والبعض الآخر مصنع محليا[25]، ورغم أن الكاتب هنا لا يوضح كيفية التصنيع

محليا والجهة المسؤولة عن ذلك، إلا أنه يصف أحد هذه المدافع محلية الصنع، ويقول أنه رائع وأنه طويل جدا يصل طوله إلى حوالي مترين، ويمكنه إطلاق مئة قذيفة[26].

وبين هذا وذاك، والأكيد الذي لا شك فيه أنه كانت توجد بمدينة الجزائر على الأقل دار لصناعة المدافع تسمى دار النحاس كانت تقع غرب قصر حسن باشا على مسافة غير بعيدة منه، ودار أخرى لصناعة البارود تقع داخل قلعة الداي (القصبة)، وقد وصف كلاين دار النحاس هذه وكيفية التصنيع بها وقال بأنها كانت تقع بالقرب من باب الوادي طولها ثلاثون مترا، وهي منشأة مرتفعة جدا وتضم برجا، كما تضم هذه المنشأة فرنا واحدا لكنه جيد البناء، القالب الذي يصب فيه البرونز لتشكيل المدافع موجود في حفرة أمام المدخل، تنتصب فوق القالب رافعة لحمل القطع، ثم توضع القطع شاقوليا في آلة أخرى توجد داخل البرج السابق مؤلفة من عدة دواليب الواحد فوق الآخر لتثقب فيها المدافع، وفي الجهة المقابلة من الشارع توجد منشأة لتصنيع القوالب وقذائف المدفعية[27]، أما دار البارود فهي بحسب كلاين أيضا بناية كبيرة مستديرة الشكل ومقببة السقف، ولحمايتها من ضربات المدافع قام الداي حسين[28] عام 1830 بتغطيتها بالكامل بكرات ضخمة من الصوف[29].

5.1. صناعة مواد البناء

لم نجد أو نعثر في المصادر التاريخية وكتب الرحلة بخصوص صناعة مواد البناء ما يروي الظمأ إلا إشارات عابرة تخص مدينة الجزائر، وكانت تنتشر بضواحي مدينة الجزائر الكثير من أفران الجير خاصة خارج باب الوادي حيث كانت تنتشر مقالع الحجر الأزرق الذي يستخدم في صناعة الجير، وكانت هناك أيضا أفران للآجر وأخرى لصناعة الأواني الفخارية[30]، ويذكر أرفيو بأن عددا كبيرا من الأفران المخصصة لصناعة الفخار والآجر كانت تنتشر خارج أبواب المدينة، ويصف أرفيو هذه الأفران بأنها دائرية ومرتفعة تشبه الطواحين الهوائية الموجودة بأوروبا[31].

2. الحرف والصناعات التقليدية

عرفت الحرف والصناعات التقليدية بالجزائر خلال العهد العثماني انتشارا واسعا وانتعاشا كبيرا، وقد كان يمارسها الأفراد أو بعض الجماعات الصغيرة على نطاق خاص وحر، لكنها كانت منظمة ومنسقة، كما كانت مضبوطة ومحكومة بجملة من القوانين والتشريعات التي سنتها السلطة العثمانية بالجزائر آنذاك.

1.2. تنظيم الحرف

كان الحرفيون والصناع ينتظمون في جماعات ويرأس كل جماعة منها رجل يسمى أمين[32]، يتم اختيار أمين كل حرفة من أصحاب الحرفة نفسها، ويجب أن يكون ممن يتصفون بالأمانة والصدق والكفاءة والمهارة أيضا في الحرفة، ولا يسري مفعول هذا الاختيار إلا بعد موافقة السلطة العليا ممثلة في حاكم الجزائر بالنسبة لبايلك دار السلطان، والباي بالنسبة لباقي البايليكات[33]، وقد أوردت الأستاذة عائشة غطاس في هذا الصدد وثيقتين من سجلات المحاكم الشرعية، تتعلق الأولى بقرار تعيين أمين الكواشين (الخبازين) بمدينة

الجزائر من طرف الداي أحمد باشا سنة 1807، أما الثانية فهي قرار تعيين أمين النجارين من طرف الحاج أحمد باي قسنطينة سنة 1818، وفي الوثيقتين إشارة إلى المهام المنوطة بالأمين، وهي الإشراف على كل ما يتعلق بالحرفة وأصحابها والنظر في أمورها، كما يكون ممثلا لهم لدى السلطات الرسمية، بمعنى أن لديه عملا نقابيا أيضا، وفي القرارين أيضا إشارة إلى وجوب عودة الحرفيين إليه في كل أمور الحرفة، واحترامهم له وامتثال القرارات الصادرة عنه[34].

وهناك مساعدون للأمين هم بالترتيب حسب المقام الأعلى الشاوش، الخوجة، الصايجي وفي الأخير الرفقاء، مهمتهم مساعدة الأمين في تأدية وظيفته[35]، وإلى جانب ذلك هنالك منصب آخر رفيع المستوى يتعلق بتنظيم الحرف وهو أمين الأمناء، ويبدو واضحا من خلال الاسم أنه المشرف على كل الأمناء ورئيسهم، وقد ورد ذكر هذا المنصب في مخطوط قانون على الأسواق[36]، ووظيفته وظيفة حكومية سامية يجمع فيها عدة صلاحيات، فهو المشرف على سجلات الحكومة الخاصة بالنشاطات الحرفية، كما أنه مسؤول على النظام الضريبي لكل حرفة[37].

2.2. أنواع الحرف والصناعات التقليدية بالجزائر

تحدثت الكثير من مصادر تاريخ الجزائر الحديث عن الحرف والصناعات التقليدية، لكن جلها حصرت اهتمامها بمدينة الجزائر فقط مهملة في الغالب باقي مدن الإيالة الأخرى، لكن القاعدة لا تخلو من الاستثناء فها هو مارمول في منتصف القرن 16 يتكلم عن الصناعات الحرفية في أهم المدن الجزائرية التي نذكر منها[38]:

- **ندرومة:** صناعة الأقمشة والمنسوجات.
- **تلمسان:** صناعة الأقمصة، الزرابي الفاخرة، معاطف صغيرة وكبيرة، وصناعة مستلزمات الخيل والفروسية من سروج وألجمة ...
- **مستغانم:** معظم أهلها يشتغلون بالنسيج.
- **مدينة الجزائر:** لا يتكلم عن أنواع الحرف بها لكن يقول أن لكل أصحاب الحرف حيا خاصا بهم.
- **جبل كوكو:** بها صناع البارود والأسلحة التقليدية (السيوف، الخناجر والسكاكين).
- **بجاية:** جل أهلها من صناع الأقمشة، المفروشات والزرابي.

أما عن شرق البلاد فتكلم مارمول عن قسنطينة والقل، وقال أن بهما عددا كبيرا من الصناع والتجار، وميلة التي يشتغل معظم صناعها بالعباءات القصيرة والزرابي التركية[39].

يأتي بعده هايدو في نهاية القرن 16 ليتحدث عن الحرف والصناعات التقليدية لكنه يركز على مدينة الجزائر التي يذكر بأن فيها من أنواع الحرفيين، صياغي المجوهرات، خياطين، إسكافيين، بنائين، صانعي السروج ولوازم الخيل، صانعي الأنابيب الفخارية، صانعي الأسلحة التقليدية والبارود، وباختصار أهم المهن والحرف الضرورية للحياة موجودة بمدينة الجزائر[40].

في القرن 17م لا نجد الكثير من المعلومات عن الصناعات والحرف، لكن مع بداية القرن 18 يتكلم شو بصفة عامة عن إيالة الجزائر، ويقول بأن صناعة السجاد والزرابي هي أهم الصناعات هنا، لكن هذه الزرابي في رأيه ليست بجودة الزرابي التركية الشهيرة، ويتكلم أيضا عن صناعة الأقمشة والمنسوجات بمختلف أنواعها، بالإضافة إلى صناعة الأسلحة التقليدية في القالة[41]، يأتي بعده بارادي في نهاية القرن 18 ليؤكد على انتشار صناعة الأقمشة والزرابي، ونفس الملاحظة يؤكدها من أنها قليلة الجودة، مع إضافة صناعة الجلود وكل ما يرتبط بها كصناعة الأحذية، المحافظ والحقائب المطرزة، صناعة المنسوجات، القبعات (الشاشية)، الحياك والبرانيس[42].

تكلم ديفونتين أيضا عن الصناعات والحرف بقسنطينة في نهاية القرن 18، وأكد أن هذه المدينة تزخر بعدد كبير من أرباب الحرف، وأهم صناعاتهم هي دباغة الجلود وكل ما يتصل بها وعلى رأسها صناعة السروج ومستلزمات الخيل والفروسية، وبدرجة أقل صناعة الأحذية بمختلف أنواعها، كما يقوم الحدادون بصناعة أدوات الحرث والزراعة، وتقوم بعض القبائل بتصنيع البارود لاستخداماتها الخاصة، وحتى النساء يشاركن في الحياة الاقتصادية بحسبه، حيث يقمن بغزل الصوف في المنازل وبيعه في سوق الغزل[43].

وأما مدينة البليدة فقد ذكر ترومبلي أنها كانت تضم قبل الاحتلال الفرنسي أنواعا كثيرة ومختلفة من الحرف والصناعات التقليدية والمهن الأخرى ذكر منها: البرادعية، الحدادين، المسببين (بائعو الأقمشة والملابس الجاهزة)، الشلاقجية (بائعو الملابس والأثاث القديم)، الدلّالين (وهم تجار يحملون سلعهم بأيديهم ويجوبون بها الشوارع لبيعها)، الخبازين، الدخاخنية (صانعو الدخان)، الجقماقجية (صانعو السلاح)، السراجين (صانعو سروج الخيل)، الطرازين، الخياطين، العباسية (صناع البرانيس نسبة لبني عباس بإيالة قسنطينة)، الفخارجية، القهواجية، السحلابجية (بائعو السحلب)، العطاري، النجارين، الحوكية (صناع القماش)، الخضارين والفكاهين بشارع عبد الله، ويسمى الدرب من محلاتهم هذه إلى غاية عين المقهى الكبير بسوق التشينة (البرتقال)، ويسمى أيضا سوق الدلاع (البطيخ الأحمر)، ومقابل شارع المقهى الكبير وفي نفس شارع عبد الله نجد محلات الجزارين، ومن شارع عبد الله إلى جامع بن سعدون نجد محلات الخرازين (صناع الجلد والأحذية)، الرقّابين (الإسكافيون) والدرّاتين (طحانو القهوة)، ومن شارع المقهى الكبير وإلى غاية جامع سيدي أحمد الكبير نجد الصياغين، الفحامين والحطابين[44].

وقد أبدى ترومبلي ملاحظتين هامتين حول هذه الحرف والصناعات بالبليدة، الأولى أنها كانت تنتشر عبر كل أحياء وشوارع وأزقة المدينة في دكاكين ومحلات صغيرة، مظلمة ومتسخة حسبه، والثانية أنها كانت تتوزع في مجموعات منتظمة بحيث يكون لكل حرفة أو مهنة تجمعها الخاص بها في أحد الأزقة أو الرحبات[45]، وهو نفس الحال مع ما كان موجودا في مدن أخرى كالجزائر أو قسنطينة.

ومع بداية القرن 19 وردت ملاحظة هامة في تقرير فرنسي تتعلق بتراجع الاهتمام بالصناعات التقليدية في الجزائر[46]، وحسب صاحب التقرير فإن الجزائريين ماهرون جدا في البناء، ومبدعون في الطرز،

حتى أن الأوروبيين يستلهمون منهم في هذا المجال، لكنهم أقل مهارة في الحرف الأخرى كالحدادة والنجارة، كما أن تصليح الساعات وصياغة المجوهرات تمارس في الجزائر من طرف الأجانب فقط[47]. ونفس الملاحظة المتعلقة بنقص الاهتمام بالصناعة عند الجزائريين نجدها عند بيرو في مطلع القرن 19 حيث يذكر بأن الأنشطة الصناعية شبه معدومة، وأهمها بمدينة الجزائر هي الأسكفة، صباغة الجلود وصناعة القبعات، وبالمدن الداخلية صناعة الفخار، أدوات الحدادة وصباغة الصوف[48].

ومن خلال مختلف كتابات الأجانب الذين زاروا الجزائر وكتبوا عنها، يلاحظ أن مدينة الجزائر كانت أهم مركز للنشاطات الحرفية، وقد ورد في دفتر تشريفات ذكر أمناء الحرف بمدينة الجزائر، لكن في تاريخ غير محدد، والراجح أنه مع نهاية القرن 17 أو بداية القرن 18، فكانت بالدفتر حوالي 27 حرفة فضلا عن أمناء الجماعات البرانية[49]، لكن الأستاذة عائشة غطاس أحصت حوالي 106 حرفة في مدينة الجزائر وحدها[50]، ويمكننا عرضها وتصنيفها في الجدول التالي:

1 – جماعة البابوجية	37 – جماعة الخبازين	73 – جماعة العطارين
2 – جماعة البجاقجية	38 – جماعة الخراطين	74 – جماعة الغرابلية
3 – جماعة البحارين	39 – جماعة الخياطين	75 – جماعة الغمادين
4 – جماعة البرادعية	40 – جماعة الدباغين	76 – جماعة الفحامين
5 – جماعة البراملية	41 – جماعة الدخاخنية	77 – جماعة الفخارين
6 – جماعة البشماقجية	42 – جماعة الدلالين	78 – جماعة الفرارية
7 – جماعة البقارين	43 – جماعة الرتايعية	79 – جماعة الفنارجية
8 – جماعة البلاغجية	44 – جماعة الرصايصية	80 – جماعة الفراصدية
9 – جماعة البنائين	45 – جماعة الرقاقين	81 – جماعة الفرانين
10 – جماعة البياضين	46 – جماعة الزبالين	82 – جماعة الفكاهين
11 – جماعة التبانين	47 – جماعة الزواقين	83 – جماعة الفنداقجية
12 – جماعة التجار	48 – جماعة الزياتين	84 – جماعة الفلكجية
13 – جماعة الترابين	49 – جماعة السراجين	85 – جماعة القرارطية
14 – جماعة التماقين	50 – جماعة السبساجية	86 – جماعة القرطالجية
15 – جماعة الجباسين	51 – جماعة السعاجية	87 – جماعة القزادرية
16 – جماعة الجقماقجية	52 – جماعة السفاجين	88 – جماعة القزازين
17 – جماعة الجواجية	53 – جماعة السكاكنية	89 – جماعة القنداقجية
18 – جماعة الجلابين	54 – جماعة السكاكرية	90 – جماعة القهواجية
19 – جماعة الجيارين	55 – جماعة السمارين	91 – جماعة القوقجية
20 – جماعة الحاكة	56 – جماعة السمانين	92 – جماعة الكبابطية
21 – جماعة الحجارين	57 – جماعة السنتاجية	93 – جماعة الكساكسية

22 – جماعة الحجامين	58 – جماعة الشبارلية	94 – جماعة الكفكجية
23 – جماعة الحدادين	59 – جماعة الشرباجية	95 – جماعة الكواشين
24 – جماعة الحرارين	60 – جماعة الشطابين	96 – جماعة اللبانين
25 – جماعة الحرازين	61 – جماعة الشماعين	97 – جماعة اللبلابجية
26 – جماعة الحصارين	62 – جماعة الشواشية	98 – جماعة اللحامين
27 – جماعة الحلاطجية	63 – جماعة الصباغين	99 – جماعة المقايسية
28 – جماعة الحفارين	64 – جماعة الصبانين	100 – جماعة المقفولجية
29 – جماعة الحفافين	65 – جماعة الصباولجية	101 – جماعة المكاحلية
30 – جماعة الحلفاجية	66 – جماعة الصفارين	102 – جماعة المسامعية
31 – جماعة الحلواجية	67 – جماعة الصقاطين	103 – جماعة النجارين
32 – جماعة الحمارين	68 – جماعة الصياغين	104 – جماعة النشارين
33 – جماعة الحمالين	69 – جماعة الأطباء	105 – جماعة الهرقمجية
34 – جماعة الحمايمية	70 – جماعة الطباخين	106 – جماعة الوزاعين
35 – جماعة الحمامجية	71 – جماعة الطرازين	
36 – جماعة الحواتين	72 – جماعة العساسين	

المصدر: عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 110، 111.

ويلاحظ من خلال الجدول السابق أنه تضمن أهم الأنشطة الحرفية التي كانت معروفة بمدينة الجزائر، لكنه تضمن أيضا مجموعة من المهن الأخرى غير الحرفية، سواء كانت تجارية أو خدماتية كالأطباء، الحمالين والعساسين (الحراسة الليلية)[51].

خاتمة

ونخلص من كل ما سبق إلى أن الأنشطة الصناعية الكبيرة والمنظمة حكوميا بالجزائر عرفت تأخرا كبيرا، فلم تستطع مجاراة التقدم الكبير الحاصل في الدول الغربية خاصة الأوروبية، وإن كانت أسباب ذلك غير واضحة، فإن نتائجه كانت واضحة وجلية، فقد أدى ذلك إلى تراجع كبير في عجلة الاقتصاد، والاعتماد في كثير من السلع والمنتجات على الاستيراد من الدول الأوروبية لتحقيق الاكتفاء الذاتي.

أما عن الحرف والصناعات التقليدية فيظهر أنها كانت أفضل حالا، وكانت عموما ذات جودة معتبرة بحسب المعايير الأوروبية، لكن إنتاجها كان ضئيلا لأنها تمارس على نطاق ضيق من الأفراد فقط، أو بعض المجموعات الصغيرة، ولم تكن تسمح إلا بتغطية جزء بسيط من الطلب المحلي على هذه السلع، وهذا ما تؤكده المعطيات العامة عن الصادرات والواردات في هذه الفترة، لكنها كانت في المقابل منظمة بطريقة جيدة تقنيا وإداريا.

الهوامش:

1 **دار الصناعة (Arsenal)**: هو اللفظ الذي كان يستخدم للدلالة على ورشة صناعة السفن، وقد انتقل هذا المصطلح بطريقة محورة إلى اللغة التركية وصار ترسانة وإلى لغات أوروبية أخرى كالإسبانية، الإيطالية والإنجليزية.

2 **باب عزون**: أحد أبواب مدينة الجزائر، يقع بالجنوب الشرقي للمدينة ويتميز بحركة كبيرة، يبعد عن باب الجديد بـ 400 خطوة، سمي كذلك نسبة لأحد الأهالي اسمه عزون، ثار ضد الحكم العثماني وحاصر المدينة، لكن ثورته أخمدت وتم القضاء عليه، يفضي هذا الباب إلى الشارع الذي يحمل نفس الاسم والذي يعد القلب النابض للمدينة ويتصل بشارع باب الوادي الذي يعد امتداد له، يستخدمه القادمون من جنوب وشرق البلاد، وقد كان له جسر يرفع أثناء الخطر. أنظر عبد القدر علي حليمي، **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830**، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص 232. وخارجه يوجد متراس كانت تنفذ عنده أحكام الإعدام على المحكوم عليهم. أنظر:

Laugier de Tassy, **Histoire d'Alger**, Piltan libraire, Paris-France, 1830, p 173.

3 **القالير (Galère-القادس)**: سفينة حربية طويلة تتضمن صفا أو عدة صفوف من المجاديف، وتستخدم بها الأشرعة أيضا، شاع استعمالها منذ القديم إلى غاية القرن 18، وتستخدم أحيانا لأغراض تجارية أيضا أنظر:

Louis Guilbert et autre, **Larousse, dictionnaire farnçais-français**, T 03, librairie Larousse, Paris-France, 1986, p2085.

4 Diego de Hâedo, **Topographie et histoire général d'Alger**, Tr de Berbrugger et Monnereau, Grand Alger livres, Alger, 2004, p31.

5 **غليوطة (Galiote)**: من المراكب الشراعية الإسبانية القديمة، كانت تصنع في الجزائر منذ القرن 16، توجد بأحجام مختلفة تتراوح ما بين 16.2م إلى 27.5م طولا و3.88م إلى 6.8م عرضا، ويصل عمقها إلى 3.56م، ويمكن أن تحمل حوالي أربعة مدافع، وكانت تستخدم عادة لحراسة الميناء، وقد استخدمت لعمليات الغزو في بداية حكم الإخوة بربروسة. أنظر حليم سرحان، **تطور صناعة السفن الحربية بالجزائر على عهد العثمانيين (1514-1830) من خلال المصادر التاريخية والأثرية**، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف د. صالح بن قربة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008/2007، ص 150، 151.

6 **فرقاطة (Frégate)**: إحدى أكبر سفن الأسطول الجزائري العثماني ذات الأشرعة والمجاديف، يحرك كل اثنين أو ثلاثة مجدافا، تستطيع حمل نحو ثمانين بحارا، وحوالي 60 راكبا آخر من غير البحارة، وقد كانت هذه السفن تتميز بسرعتها الفائقة لذلك كانت تقوم أحيانا مقام الشرطة المتنقلة في العمل والتنسيق. أنظر: سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 163.

ولم يكن هذا النوع من السفن يصنع في الجزائر إلا قليلا، فكانت الجزائر تستورد هذه السفن من الدول الأوروبية خاصة إنجلترا التي كانت رائدة في صناعتها. أنظر: حليم سرحان، المرجع السابق، ص 144.

7 Diego de Hâedo, op.cit, p 86, 87.

8 كورين شوفالييه، **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541**، تر جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 17.

9 المرجع نفسه، ص 99.

10 Henri Klein, **Feuillets d'El-Djazair**, T 01, édition du Tell, Blida – Algérie, 2003, p 117.

أنظر أيضا:

Jean-Baptiste Tollot، **Nouveau voyage fait au Levant، ès années 1731 et 1732 contenant les descriptions d'Alger Tunis, Tripoly de Barbarie, Alexandrie en Egypte, Terre sainte, Constantinople,** &c, Durand libraire, Paris-France, 1742, p46.

11 نور الدين عبد القادر، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر منذ أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص 152.

12 Dépôt général de la guerre (France), **Aperçus historique, statistique et géographique sur l'état d'Alger**, 3ème édition, dépôt général de la guerre, Paris-France, 1830, p 206.

(تقرير أُعد بالمستودع العام لوزارة الحرب الفرنسية اعتمادا على مجموعة من تقارير الجواسيس الفرنسيين، ذُكر منهم بوتان والقنصل ديبوا تانفيل وغيرهم، كتب على واجهته أنه وضع في الأساس لاستخدامه في الحملة العسكرية على شمال إفريقيا).

13 Thomas Shaw, **Voyage dans la régence d'Alger**, Tr par Mac Carthy, Marlin éditeur, Paris-France, 1830, p35, 36.

14 Dépôt de la guerre, op.cit, p173.

15 Shaw, op.cit, p36.

16 Chevalier d'Arvieux, **Mémoires**, T 05, Charles-Jean-Baptiste libraire, Paris-France, 1735, p 241.

17 نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 277.

18 **علي خوجة (1817-1818)**: أحد دايات الجزائر، لم تدم فترة حكمه سوى ستة أشهر ومات بالوباء، ومن أشهر أعماله أنه نقل مقر الحكم من قصر الباشوات إلى قلعة القصبة بأعلى المدينة ليكون بمنأى عن ثورات الإنكشارية وضباطهم، ومن أعماله أيضا أنه عقد اتفاق سلم بين الجزائر وتونس. أنظر نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 125.

19 ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي الجزائري في الفترة العثمانية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص190.

20 Shaw, op.cit, p 208, 209.

21 Laugier de Tassy, op.cit, p 248.

22 Hâedo, op.cit, p 107.

23 Louiche René Desfontaines, **Fragment d'un voyage dans les régences de Tunis et d'Alger 1783-1784**, libraire de GIDE, Paris-France, 1838, p 343.

24 Dépôt de la guerre, op.cit, p 206.

25 Jean-André Peyssonnel, **Relation d'un voyage sur les cotes de Barbarie fait en 1724-1725**, libraire de GIDE, Paris-France, 1838, p 448.

26 Ibid, p 448.

27 Klein, op.cit, p 105.

28 **الداي حسين (1818 - 1830)**: آخر دايات الجزائر حكم البلاد 13 سنة ، كان خوجة الخيل في عهد علي خوجة وهو من أوصى له بالحكم بعد وفاته، ومن أشهر الأحداث في عهدة عقد صلح مع تونس بتدخل السلطان العثماني سنة 1821، ومن أشهر الأحداث أيضا مشاركة الأسطول الجزائري إلى جانب الأسطول العثماني في معركة نافارين البحرية الشهيرة بالقرب من سواحل اليونان، وانتهت هذه المعركة بانكسار القوة العثمانية وهزيمتها، وتحطمت فيها أغلب سفن الأسطول الجزائري، أما أشهر الأحداث في عهد هذا الداي فهي الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر واحتلالها في جويلية 1830 لينتهي بذلك حكم العثمانيين للبلاد بعد أزيد من ثلاثة قرون. أنظر: نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 125 - 128.

29 Klein, op.cit, p88.

30 كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 80.

31 Arvieux, op.cit, p02.

32 Dépôt de la guerre, op.cit, p174.

33 عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830**، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار ANEP، الجزائر، 2007، ص 143.

34 عائشة غطاس، المرجع السابق، ص ص 143-145.

35 المرجع نفسه، ص 155.

36 محمد بن الحاج يوسف الشويهد، **قانون على الأسواق بمدينة الجزائر**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم 1378، ص 4، 5.

37 عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 136.

38 مارمول كربخال، **إفريقيا**، ج 2، تر محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط - المغرب الأقصى، 1989، ص 295، 300، 350، 354، 363، 374، 375 و376.

39 مارمول كربخال، المصدر السابق، ج 3، ص 06، 11 و13.

40 Hâedo, op.cit. p107.

41 Shaw, op.cit, p119, 347.

42 Venture de Paradis, **Alger au 18ème siècle (1788-1790)**, Grand Alger livres édition, Alger, 2006, pp 36 - 39.

43 Desfontaines, op.cit, p341, 342 et 343.

44 Corneille Trumelet, **Blida, Récits selon la légende, la tradition et l'histoire**, Tome 2, Adolph Jourdan libraire-éditeur, Alger, 1887, pp 896 - 900.

45 Ibid, p896, 898.

46 Dépôt de la guerre, op.cit, p173.

47 Ibid, p 175.

48 Perrot, **Alger - esquisse topographique et historique du royaume et de la ville** -, librairie Ladvocat, Paris-France, 1830, p43, 44.

49 Albert Devoulx, **Tachrifat, recueils de notes historiques**, imprimerie du gouvernement, Alger, 1852, p 33, 34.

50 عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 110، 111.

51 لفهم وتحديد بعض مصطلحات الحرفيين والمهنيين الواردة في الجدول أنظر: عائشة غطاس، المرجع السابق، ص ص 391 - 393.